المؤاخذون الاصليون ، وان جندهم من أولئك ليعلمون على قدر عقولهم ، لم يصلوا الى مرتبة تعرفهم بالحق حتى يكونوا اذا لم يأخذوا به مؤاخذين . بل ذلك مبلغهم من العلم والحياة الدنيا جل مايطلبون ، وان منهم لفريقا يكتمون الحق وهم يعلمون ، وما اولئك الا القليل

ذلك العائق الذي شرحناه هو الذي حجز بين المسلمين وبين مايرتقون فهل من مطمع في زواله وهل الى الرقي من سبيل سليمان الجادوي

(المنار) قلما رأيت في الجرائد كتابة في حال المسلمين أو في المسائل الاجتماعية موزونة بميزان العقل ، وصادرة عن روية واستقلال في الفكر ، كهذا المقال . واني اجيب الكاتب الفاضل بأن السبيل الى رقي المسلمين واحدة وهي أن يكثر فيهم المصلحون من أهل العلم والبصيرة والتقوى فيقوى حزبهم على حزب الدجالين الجامدين ، الذين حالوا بين المسلمين وبين الترقي في دينهم ودنياهم معا ، ولا بد لهذا من سعي خاص حتى لا يطول أمد الوصول اليه وهو كائن باذن الله طالت المدة أم قصرت . ولا يهولنك كثرة أتباع الدجالين فما ذلك لتأثير دجلهم الحادث ، وانما هي بقايا الداء الموروث ، وقد يموت اكبر طاغوت منهم فلا يشعر الذين على رأيه بأنهم فقدوا شيئاً فكثرتهم الى قلة وقلة المصلحين وأتباعهم الى كثرة والعاقبة للمتقين

الباطنية (*)

(وآخر فرقهم البابية البهائية)

جاء في كتاب الملل والنحل للشهرستاني تحت عنوان (الاسماعيلية) مانصه :

قد ذكرنا ان الاسماعيلية امتازت عن الموسوية وعن الاثناعشرية بأثبات الامامة لاسماعيل بن جعفر وهو ابنه الأكبر المنصوص عليه في بدء الامر قالوا ولم يتزوج الصادق على امه بواحدة من النساء ولا اشترى جارية كسنة رسول الله في حق خديجة وكسنة علي في حق فاطمة . وذكرنا اختلافهم في موته في حال حياة أبيه فمنهم من قال

(*) تابع لما نشر في (ج ١٢ م ١٣)

انه مات وانما فائدة النص عليه انتقال الامامة منه الى أولاده خاصة كما نص موسى الى هارون عليهما السلام ثم مات هارون في حال حياة أخيه وانما فائدة النص انتقال الامامة منه الى أولاده فان النص لا يرجع فهقرى والقول بالبداء محال ولا ينص الامام على واحد من ولده إلا بعد السماع من أبائه والتعيين لا يجوز على الابهام والجهالة ، ومنهم من قال انه لم يمت لكن أظهر موته تقية عليه حتى لا يقصد بالقتل. ولهذا القول دلالات منها ان محمدا كان صغيرا وهو اخوه لأمه مضى الى السرير الذي كان اسماعيل نائما عليه ورفع الملاءة فابصره وهو قد فتح عينه ومضى الى أبيه مفزعا وقال : عاش أخي عاش أخي. قال أبوه ان أولاد الرسول كذا يكون حالهم في الآخرة. قالوا وما السبب في الاشهاد على موته وكتب المحضر عليه ولم يعهد ميتا سجل على موته ؟ و(أجيب) عن هذا بأنه لما رفع الى المنصور ان اسماعيل بن جعفر رؤي بالبصرة مر على مقعد فدعاله فبرئ باذن الله، بعث المنصور الى الصادق ان اسماعيل في الاحياء وانه رؤي في البصرة أنفذ السجل اليه وعليه شهادة عامله بالمدينة .

قالوا وبعد اسماعيل محمد بن اسماعيل السابع التام وانما تم دور السبعة به ثم ابتدأ منه بالائمة المستورين الذين كانوا يسيرون في البلاد ويظهرون الدعاة جهرا. قالوا ولم تخل الارض قط من امام حي قاهر إما ظاهر مكشوف، واما باطن مستور، فاذا كان الامام ظاهراً يجوز أن تكون حجته مستورة واذا كان الامام مستوراً فلا بد ان يكون حجته ودعاته ظاهرين. وقالوا انما الائمة تدور احكامهم على سبعة كأيام الاسبوع والسموات السبع والكواكب السبع ، والنقباء تدور أحكامهم على اثناعشر قالوا وعن هذا وقعت الشبهة للامامية القطعية حيث قرروا عدد النقباء للأئمة. ثم بعد الأئمة المستورين كان ظاهر المهدي والقائم بأمر الله وأولادهم نصاً بعد نص على امام بعد امام ومذهبهم أن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية وكذلك من مات ولم يكن في عنقه بيعة امام مات ميتة جاهلية، وكانت لهم دعوة في كل زمان ومقالة جديدة بكل لسان فنذكر مقالاتهم القديمة ونذكر بعدها دعوة صاحب الدعوة الجديدة واشهر ألقابهم الباطنية

وانما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بان لكل ظاهر باطنا، ولكل تنزيل تأويلاً ، ولهم ألقاب كثيرة سوى هذه على لسان قوم قوم فبالعراق يسمون الباطنية والقرامطة والمزدكية وبخراسان التعليمية الملاحدة وهم يقولون نحن اسماعيلية لا نتميز نا عن فرق الشيعة بهذا الاسم وهذا الشخص

ثم ان الباطنية القديمة قد خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة وصنعوا كتبهم على ذلك المنهاج فقالوا في البارئ تعالى انا لانقول هو موجود ولا لاموجود ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز وكذلك في جميع الصفات فان الاثبات الحقيقي يقتضي الشركة بينه وبين سائر الموجودات في الجهة التي اطلقنا عليه وذلك تشبيه فلم يكن الحكم بالاثبات المطلق والنفي المطلق بل هو الله المتقابلين وخالق الخصمين والحاكم بين المتضادين. ويقولون في هذا أيضا عن محمد بن علي الباقر انه قال لما وهب العلم للعالمين قيل هو عالم ولما وهب القدرة للقادرين قيل هو قادر فهو عالم وقادر بمعنى أنه وهب العلم والقدرة لا بمعنى انه قام به العلم والقدرة أو وصف بالعلم والقدرة . فقيل فيهم انهم نفاة الصفات حقيقة معطلة الذات عن جميع الصفات. قالوا وكذلك نقول في القدم أنه ليس بقديم ولا محدث بل القديم امره وكلمته ، والمحدث خلقه وفطرته، ابدع بالامر العقل الاول الذي هو تام بالفعل ثم بتوسطه ابدع النفس الثاني الذي هو غير تام ، ونسبة النفس الى العقل اما نسبة النطفة الى تمام الخلقة والبيض الى الطير، واما نسبة الولد الى الوالد والنتيجة الى المنتج، واما نسبة الانثى الى الذكر والزوج الى الزوج . قالوا ولما اشتاقت النفس الى كمال العقل احتاجت إلى حركة من النقص الى الكمال واحتاجت الحركة الى آلة الحركة فحدثت الافلاك السماوية، وتحركت حركة دورية بتدبير النفس، وحدثت الطبائع البسيطة بعدها وتحركت حركة استقامت بتدبير النفس أيضا فتركبت المركبات من المعادن والنبات والحيوان والانسان واتصلت النفوس الجزئية بالابدان ، وكان نوع الانسان متميزا عن سائر الموجودات بالاستعداد الخاص لفيض تلك الانوار، وكان عالمه في مقابلة العالم كله وفي العالم العلوي عقل ونفس كلي وجب ان يكون في هذا العالم عقل شخص هو كل وحكمه حكم الشخص الكامل البالغ ويسمونه الناطق وهو النبي ونفس مشخصة هو كل أيضا وحكمها حكم الطفل الناقص التوجه الى الكل أو حكم النطفة المتوجهة الى التمام أو حكم الانثى المزدوج بالذكر ويسمونه الاساس وهو الوصي

قالوا وكما تحركت الافلاك بتحريك النفس والعقل والطبائع كذلك تحركت النفوس والاشخاص بالشرائع بتحريك النبي والوصي في كل زمان دائر على سبعة سبعة حتى ينتهي الى الدور الاخير ويدخل زمان القيامة وترتفع التكاليف وتضمحل السنن والشرائع وانما هذه الحركات الفلكية والسنن الشرعية لتبلغ النفس الى حال كمالها وكمالها وصولها الى درجة العقل واتحادها به ووصولها الى مرتبته فعلا وذلك هو القيامة الكبرى فتتحلل تراكيب الافلاك والعناصر والمركبات وينشق السماء وتتناثر

الكواكب وتبدو الارض غير الارض وتطوى السماء كطي السجل للكتاب المرقوم فيه ويحاسب الخلق ويتميز الخير عن الشر والمطيع عن العاصي وتتصل جزئيات الحق بالنفس الكلي وجزئيات الباطل بالشيطان المبطل فمن وقت الحركة الى وقت السكون هو المبدأ ومن وقت السكون الى مالا نهاية له هو الكمال

ثم قالوا ما من فريضة وسنة وحكم من أحكام الشرع من بيع واجارة وهبة ونكاح وطلاق وجراح وقصاص ودية الا وله وزان من العالم عدداً في مقابلة عدد وحكماً في مقابلة حكم فان الشرائع عوالم روحانية امرية والعوالم شرائع جسمانية خلقية وكذلك التركيبات في الحروف والكلمات على وزان تركيبات الصور والاجسام . والحروف المفردة نسبتها الى المركبات من الكلمات كالبسائط المجردة الى المركبات من الاجسام ولكل حرف وزان في العالم وطبيعة يخصها وتأثير من حيث تلك الخاصية في النفوس فعن هذا صارت العلوم المستفادة من الكلمات التعليمية غذاء النفوس كما صارت الاغذية المستفادة من الطبائع الخلقية غذاء للأبدان .

وقد قدر الله أن يكون غذاء كل موجود مما خلقه منه فعلى هذه الوزان صاروا الى ذكر اعداد الكلمات والآيات، وان التسمية مركبة من سبعة واثني عشر وان التهليل مركب من أربع كلمات في احدى الشهادتين وثلاث كلمات في الشهادة الثانية وسبع قطع في الاولى وست في الثانية واثني عشر حرفاً في الثانية. وكذلك في كل آية امكنهم استخراج ذلك مما لا يعمل العاقل فكرته فيه الا ويعجز عن ذلك خوفاً عن مقابلته بضده وهذه المقابلات كانت طريقة اسلافهم وقد صنفوا فيها كتباً ودعوا الناس الى امام في كل زمان يعرف موازنات هذه العلوم ، ويهتدي الى مدارج هذه الاوضاع والرسوم

ثم أصحاب الدعوة الجديدة تمكبوا هذه الطريقة حين أظهر الحسن بن الصباح دعوته، وقصر عن الالزامات كلها، واستظهر بالرجال، وتحصن بالقلاع، وكان بدء صعوده الى قلعة الموت في شعبان سنة ثلاث وثمانين واربع مئة وذلك بعد ان هاجر الى بلاد امامه، وتلقى منه كيفية الدعوة لأبناء زمانه، فعاد ودعا الناس أول دعوة الى تعيين امام صادق قائم في كل زمان وتميز الفرقة الناجية من سائر الفرق بهذه النكتة، وهو أن لهم اماماً وليس لغيرهم امام. وانما يعود خلاصة كلامه بعد ترديد القول فيه عوداً على بدء بالعربية والعجمية الى هذا الحرف. ونحن ننقل ما كتبه بالعجمية الى العربية ولا معاب على الناقل والموفق من اتبع الحق واجتنب الباطل والله الموفق والمعين . فنبدأ بالفصول الاربعة التي ابتدأ الدعوة بها وكتبها بعجمية فعربتها .

قال للمفتي في معرفة الباري تعالى احد قولين اما ان يقول اعرف الباري تعالى بمجرد العقل والنظر من غير احتياج الى تعليم معلم واما ان يقول لاطريق الى المعرفة مع العقل والنظر الا بتعليم معلم صادق. قال ومن افتى بالاول فليس له الانكار على عقل غيره ونظره فانه متى انكر فقد علم والانكار تعليم ودليل على ان المنكر عليه يحتاج الى غيره. قال والقسمان ضروريان فان الانسان اذا افتى بفتوى أو قال قولا فاما ان يقول من نفسه أو من غيره وكذلك اذا اعتقد عقداً فاما ان يعتقده من نفسه أو من غيره هذا هو الفصل الاول وهو كسر على اصحاب الرأي والعقل

وذكر في الفصل الثاني انه اذا ثبت الاحتياج الى معلم أفيصلح كل معلم على الاطلاق أم لابد من معلم صادق؟؟ قال ومن قال انه يصلح كل معلم ماساغ له الانكار على معلم خصمه واذا أنكر فقد سلم انه لابد من معلم معتمد صادق قيل وهذا كسر على أصحاب الحديث

وذكر في الفصل الثالث انه اذا ثبت الاحتياج الى معلم صادق فلا بد من معرفة المعلم أولا والظفر به ثم التعليم منه أم جاز التعلم من كل معلم من غير تعيين شخصه وتبيين صدقه؟؟ والثاني رجوع الى الاول ومن لم يمكنه سلوك الطريق الا بمقدم ورفيق فالرفيق ثم الطريق وهو كسر على الشيعة

وذكر في الفصل الرابع ان الناس فرقتان فرقة قالت يحتاج في معرفة الباري تعالى الى معلم صادق ويجب تعيينه وتشخيصه اولا ثم التعلم منه وفرقة اخذت في كل علم من معلم وغير معلم وقد تبين بالمقدمات السابقة ان الحق مع الفرقة الاولى فرأسهم يجب ان يكون رأس المحقين واذا تبين ان الباطل مع الفرقة الثانية فرؤساؤهم يجب ان يكونوا رؤساء المبطلين قال وهذه الطريقة التي عرفنا الحق بالحق معرفة مجملة ثم نعرف بعد ذلك الحق بالحق معرفة مفصلة حتى لايلزم دور ان المسائل وانما عنى بالحق هاهنا الاحتياج وبالحق المحتاج اليه وقال بالاحتياج عرفنا الامام وبالامام عرفنا مقادير الاحتياج كما بالجواز عرفنا الوجوب الى واجب الوجود وبه عرفنا مقادير الجواز في الجائزات قال والطريق الى التوحيد كذلك حذو القذة بالقذة ثم ذكر فصولا في تقرير مذهبه اما تمهيداً واما كسراً على المذاهب وأكثرها كسر او إلزام واستدلال بالاختلاف على البطلان وبالاتفاق على الحق . منها فصل الحق والباطل والصغير والكبير يذكر ان في العالم حقاً وباطلا ثم يذكر ان علامة الحق هي الوحدة ، وعلامة الباطل هي الكثرة ، وان الوحدة مع التعليم ، والكثرة مع الرأي ، والتعليم مع الجماعة ،

والجماعة مع الامام، والرأي مع الفرق المختلفة، وهي مع رؤسائهم. وجعل الحق والباطل والتشابه بينهما من وجه والتمايز بينهما من وجه التضاد في الطرفين. والترتب في أحد الطرفين ميزانا يزن به جميع ما يتكلم فيه . قال وانما انشأت هذا الميزان من كلمة الشهادة وتركيبها من النفي والاثبات أو النفي والاستثناء قال فما هو مستحق النفي باطل وما هو مستحق الاثبات حق ، ووزن بذلك الخير والشر والصدق والكذب وسائر المتضادات ، ونكتته أن يرجع في كل مقالة وكلمة الى اثبات العلم وان التوحيد هو التوحيد والنبوة معاً حتى يكون توحيداً وان النبوة هي النبوة والامامة معاً حتى تكون نبوة ، وهذا هو منتهى كلامه

وقد منع العوام عن الخوض في العلوم وكذلك الخواص عن مطالعة الكتب المتقدمة الا من عرف كيفية الحال في كل كتاب ، ودرجة الرجال في كل علم ، ولم يتعد بأصحابه في الالهيات عن قوله ان الهنا اله محمد . قال أنا وأنتم تقولون الهنا اله العقول اي ماهدى اليه عقل كل عاقل فان قيل لواحد منهم ماتقول في البارئ تعالى وانه هل هو (كذا) وانه واحد أم كثير عالم قادر أم لا ؟ لم يجب الا بهذا القدر ان الهي اله محمد وهو الذي أرسل رسوله بالهدى والرسول هو الهادي اليه ، وكم قد ناظرت القوم على المقدمات المذكورة فلم يخطوا عن قولهم أفنحتاج اليك أو نسمع هذا منك ، أو نتعلم عنك ، وكم قد ساهلت القوم في الاحتياج وقلت أين المحتاج اليه وأبين يقدر لي في الالهيات وماذا يرسم في المعقولات ، اذ المعلم لايعنى لعينه وانما يعنى ليعلم ، وقد سددتم باب العلم وفتحتم باب التسليم والتقليد ، وليس يرضى عاقل بأن يعتقد مذهباً على غير بصيرة ، وان يسلك طريقا من غير بينة ، فكانت مبادي الكلام تحكيمات ، وعواقبها تسليمات ، « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » (للكلام بقية)

(المنار) هذا ماأورده الشهرستاني من دين الباطنية الاسماعيلية الذين كانوا يخادعون الناس فيه زاعمين انه مذهب إسلامي وان أهله هم الفرقة الناجية وكانوا يستدرجون الضعفاء بهذه السفسطة الموهة ويستزلونهم بما يخيلون اليهم من حجج العقل فيستزلونهم به عن العقل ، ويسترضونهم بالخضوع الاعمى لكل ماينقلونه عن إمامهم وقد هدم سفسطتهم العلماء الاعلام كالغزالي في كتابه القسطاس المستقيم وغيره